(12-32)

# الدولة الفلسطينية في السياسة الخارجية الامريكية

## الانتفاضة تشق طريقها لاقامة الدولة الفلسطينية المستقلة

جاءت الانتفاضة بقوتها وشمولها لتفرض اعادة ترتيب الاولويات على مستوى المنطقة العربية، وحتى على المستوى الدولي، ولا سيما الامريكي. وقد تبدى ذلك من خلال احتلالها للموقع الاول في الاعلام العالمي لعدة أيام متتالية في شهر ديسمبر كانون اول 1987، ومن خلال عدد من التصريحات الرسمية على مستوى المعالم كله استنكارا لوحشية الجيش الصهيوني، وتأييدا لعدالة قضية شعب فلسطين. وقد ظن البعض ان هذا التحول الكبير والخطير الذي احدثته الانتفاضة بالنسبة الى اعادة قضية فلسطين الى المرتبة الاولى سيكون مؤقتا عابرا، لان الانتفاضة لا تستطيع ان تستمر في احسن حالاتها حتى الاسبوع الاول، او الاسبوع الثاني من مطلع عام 1988 ولكن استمرارها الى ما بعد ذلك، بل ازدياد زخمها وعطائها حتى دخلت شهرها الرابع قد جعل تلك التوقعات تتبخر. بل اصبح هناك يأس في الاوساط الغربية من قدرة العدو الصهيوني على اخمادها او اطفائها، مهما استخدم من اساليب بعد فشل سياسة القبضة الحديدية. كما تولدت ثقة عالية بقدرة الشعب الفلسطيني على الاستمرار في هذه الانتفاضة التي اصبح بديهيا ان تسمى ثورة شعبية او حرب شعبية شاملة في عمق الكيان الصهيوني.

لقد تحولت الانتفاضة الى زلزال يهز الكيان الصهيوني هزا متواصلا، ويهز حلفاءه، ولا سيما الامبرالية الامريكية، ويجعلهم يوجسون خيفة من نتائجها, لا على هذا الكيان المزروع في ارضنا الفلسطينية فحسب,وانما على مجمل المصالح الامريكية في البلاد العربية والاسلامية ايضا. حيث برزت مؤشرات كثيرة تؤكد ان اثارة هذه الانتفاضة قد تمتد الى ساحات عربية واسلامية اخرى، وربما تحولت بدورها الى انتفاضات شعبية ضد السياسات الامريكية والمصالح الامريكية باعتبار الامبريالية الامريكية الشريك الاول للكيان الصهيوني في احتلال الارض الفلسطينية، وهي السبب الاول في استمرار الاحتلال والتنكر لحقوق الشعب الفلسطيني، والهز بكرامة حلفاء امريكا في البلاد العربية. وقد عبر عن ذلك اكثر من رئيس عربي، واكثر من معلق عربي، بل وصل الامر ببعضهم الى القول ان استمرار الانتفاضة ربما اطلق شررا قد يشمل مساحات من السهل العربي والاسلامي.

من هنا كا لا بد للادارة الامريكية من ان تتحرك بسرعة حتى تتجنب النتائج الوخيمة التي ستلحق بحليفها الصهيوني وبسمعتها الدولية اذا ما استمرت الانتفاضة وتصاعدت ,فضلا عن ضرورة التحرك بسرعة لمنع انتقال عدوى نزول الجماهير المؤمنة الى الشوارع في العواصم العربية والاسلامية. وقد بدأ هذا التحرك من جانب الادارة الامريكية بارسال بعض الموفدين الى المنطقة بمناورة تبدو فيها الادارة الامريكية ساعية في البحث عن مكان لتحريك التسوية. ولكن سرعان ما تبين ان عمق الانتفاضة وجديتها لا تخدرهما زيارة مبعوثين على وزن ميرفي او حبيب تحت شعار البحث عن تسوية، كما تبين ان التوتر الشعبي على مستوى الفلسطينيين والجماهير العربية لا يسمح لاي نظام عربي بالتهافت وراء التحرك الامريكي الا ضمن شروط حد ادنى لا تفكر الادارة الامريكية باعطائها حتى ولا لانقاذ ماء الوجه. وهذا ما فرض على ادارة ريغان تحريك وزير الخارجية شولتز ليقوم بزيارات مكوكية بين تل ابيب وعمان ودمشق واوروبا وهو يحمل مشروعا لتحريك عجلة التسوية، ويتلخص هذا المشروع اساسا باجراء انتخابات محلية في الاراضي المحتلة من اجل اقامة ادارة مدنية فلسطينية مع بقاء الاحتلال، وجعل ذلك

لفترة زمنية، ثم يصار الى التفاوض حول خطوات دائمة. ولم ينس شولتز ان يطلع الاتحاد السوفياتي على الخطة بقصد طمأنته واشعاره بالمشاركة. في الواقع، قبل مناقشة مضمون المشروع، لا بد من التنبيه الى ان مجرد طرح المشروع والتحرك المكوكي من اجله، ومن خلال وزير خارجية امريكا، يجب ان يسجل هزيمة للسياسة الامريكية لحساب الانتفاضة. فعلى الرغم من انها ليست هزيمة كاملة، وانما هي في كل الاحوال هزيمة ملموسة، بمعنى اجبار الولايات المتحدة الامريكية على ان تخرج من سياسة التجميد وتثبيت الامر الواقع، من سياسة الاستهتار بالحقوق الفلسطينية والعربية، والهز برغبات حلفائها واصدقائها، الى سياسة التحريك والتحرك، ولو كان ذلك في جوهرة مناورة من اجل امتصاص تأثير الانتفاضة في الاوضاع العربية والاسلامية، ومن اجل اخماد جذور التحدي التي اشعلتها جماهير الشعب الفلسطيني في داخل الارض الفلسطينية. ولكن لا بد لهذه المناورة حتى تأخذ مجراها من ان تقدم بعض التراجعات ولو الشكلية، وتعمل على الاقرار ولو اللفظي بضرورة ايجاد حل ما، وكان هذا بحد ذاته كافيا لارباك سياسة شامير التي لا تستطيع حتى الان ان تحتمل هذه المناورة، مما دفعه الى رفضها جملة وتفصيلا. وهو ما سيزيد من انفضاحه وعزلته امام الرأي العام العالمي، كما سيزيد من انفضاح التواطؤ الامريكي معه حين تبدأ الادارة الامريكية بالتراجع لحساب الموقف الصهيوني. ان خطر ما يمكن ان ينجم عن طرح المشروع الامريكي الجديد ه والقاء الكرة في الصف العربي، وتجاوب البعض ولو جزئيا معه، فيقدم تنازلات جديدة، مما يحدث شروخا جديدة، وهذا ما فرض ان تعمل م. ت. ف عملا نشيطا للحيلولة دون ذلك لابقاء جذوة الانتفاضة مشتعلة، وابقاء الموقف العربي شبه موحد على الاقل من المشروع الامريكي. وذلك بكشفه من جهة كمناورة امتصاصية، وفضح محتواه من جهة اخرى، باعتباره اسوأ مما تضمنته اتفاقات كامب ديفيد والمعاهدة الساداتية - الصهيونية حول الحكم الذاتي والحقوق الفلسطينية ومسرحية الانسحاب من سيناء. اما من الجهة الثالثة فلا بد من التأكيد على التواطؤ الامريكي المتواصل مع موقف الكيان الصهيوني، مما لم تظهر بوادره الملموسة لممارسة ضغوط معنوية ومادية وعسكرية على قيادة العدو الصهيوني. ان كل ما يقال عن تمايز امريكي عن الموقف الصهيوني يظل ضمن هامش لا يجوز ان يراهن عليه ولو بالحدود الدنيا بالنسبة الى البحث عن حل. فأهمية هذا الهامش تنحصر، في احسن احوالها، في اثرها في الراي العام الامريكي على المدى الطويل.

على ان النقطة الاكثر اهمية في هذا الصدد هي المتعلقة بالدور المركزي الذي اخذت تحتله انتفاضة شعبنا في الداخل من جهة التأثير في حركة الاحداث العربية والدولية في هذه المرحلة, وهو امر يحدث لاول مرة، وبهذه الضخامة منذ اربعين عاما. انها المرة الاولى التي ينتقل نضال الشعب الفلسطيني فيها من مرحلة الرقم الصعب في المعادلة الى مرحلة المركز المؤثر في توجيه السياسات العربية والدولية بصورة مباشرة او غير مباشرة. ويمكن القول دون مبالغة ان كل لقاء عربي عربي او عربي دولي او دولي دولي الا ويضع على رأس جدول اعماله بحث موضوع الانتفاضة الشعبية في الارض المحتلة، وما يمكن ان ينجم عنها من نتائج في اكثر من مجال فلسطيني وصهيوني وعربي ودولي، وما يمكن ان تولده من ردود فعل جماهيرية تجعل المعركة المفتوحة الان ضد الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الامريكية تمتد الى عواصم عربية واسلامية على نطاق واسع. وهذا ما يجعل المسألة الاساسية بالنسبة الى م. ت. ف تتمحور في هذه المرحلة بوضع كل الجهود في خدمة تصعيد الانتفاضة، وتوسيع المشاركة الجماهيرية الفلسطينية في الداخل فيها، واعطائها صفة الديمومة لاشهر عدة قادمة حتى يصل العالم كله الى قناعة باستحالة اجهاضها او اخمادها، وحتى تنتقل هذه القناعة الى اوساط القيادة الصهيونية بعد ان تكون هذه القيادة قد استنفذت ما في جعبتها من اساليب لم تمارسها جميعا حتى الآن، وبعد ان تكون المناورات الامريكية قد فشلت في شق الصفوف والتخدير وابتزاز التنازلات، وحتى يعطي الوقت الكافي ليأتي اوان التحرك الجماهيري العربي والاسلامي الواسع، فيصبح الثمن الذي تدفعه الامبريالية الامريكية في دعم سياسات الحرك الصهيونية، والتنكر للحقوق الفلسطينية اكبر مما تستطيع تحمله او تطيق الاستمرار في دفعه، عندئذ يكون بمقدور م. ت. ف ان تفرض شروطها على

مجرى الحلول المطروحة فيكون الانسحاب بلا قيد او شرط، ويكون التحرير الفلسطيني واقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية المستقلة اقل ما يمكن ان يدفع مقابل خروج الولايات المتحدة والكيان الصهيوني من ورطتهما، واقل ما يمكن ان يعطي من بعض الدول العربية مقابل الخلاص من احتمالات ردود الفعل الجماهيرية او من مردود الفعل الجماهيري.

ومن هنا لا يكن ممكنا فهم عدد من السياسات العربية في تجاوبها مع حركة شولتز المكوكية وترحيبها بها، كما لا يمكن ان يفهم ما صدر من تحفظات اردنية وسورية ومصرية وعربية على مشروع شولتز "في صيغه الراهنة"، الا ضمن التأثير الذي تركته الانتفاضة في التحركات والمواقف السياسية العربية والدولية في هذه المرحلة. فمن جهة ازمت الانتفاضة الوضع العربي والدولي وجعلته يشعر بالحاجة الماسة الى فعل شيء، الى تحرك ما، حتى لا تتفاقم الامور اكثر فأكثر مع استمرار الانتفاضة وما تحمله من احتمالات الصدامات الواسعة وربما المجازر. اما من جهة اخرى فقد جعلت الانتفاضة الرد العربي على المشروع الامريكي حذرا لان المناخ الذي ولدته لا يحتمل سياسات على طريقة السادات.

فالانتفاضة تفترض مزيدا من الصمود العربي والصلابة العربية في وجه المناورات الامريكية، وفي رفض الابتزاز الامريكي لاستدراج المزيد من التنازلات الفلسطينية والعربية، وبهذا تبدو الازمة العربية والدولية في ظل انتفاضة الشعب الفلسطيني المستمرة والمتواصلة والمتصاعدة على انها مأزق البحث الملح عن ايجاد حل، او بداية التحرك من اجل حل، ومأزق المستوى الذي اخذت الانتفاضة تفرضه للحل، وهو ما لا تستطيع ان تهضمه السياسات الصهيونية والامريكية. وان هذين المأزقين كانا يتصاعدان مع تصاعد الانتفاضة فكلما اصبحت تلك السياسات مستعدة لهضم ما ترفض هضمه اليوم، يصبح ذلك غير مقبول مع التصعيد الجديد الذي ستفرضه الانتفاضة في مراحلها الاعلى.

ان هذه المعادلة واستمرارها على هذا المنوال ستعطي القدرة على فرض الشروط الفلسطينية كنتيجة طبيعية ومنطقية لانتفاضة الشعب الفلسطيني التي اصبحت العامل الاساسي في توجيه حركة السياسات العربية والدولية في تلك المرحلة بالنسبة الى المنطقة المسماة "بالشرق الاوسط".

مع عودة جورج شولتز خائبا من جولته الثالثة الى الشرق الاوسط في اقل من شهرين، تكون الانتفاضة الوطنية الكبرى قد دخلت مظفرة شهرها الخامس، وقد اسقطت - فيما اسقطت - الحل الامبريالي - الصهيوني للقضية الفلسطينية.

هذا الحل الذي بدأ ذروته في عام 48 بقيام الكيان الصهيوني فوق ارض فلسطين على انقاض الوطن الفلسطيني، وتطور بعد وان الخامس من حزيران 67 واحتلال قطاع غزة والضفة الغربية بحيث اصبحت فلسطين كلها تحت قبضة الاحتلال الاستيطاني الصهيوني، وبعد عشر سنوات أي في عام 1977، انتقل الحل الامبريالي - الصهيوني الى مرحلة جديدة على يد انور السادات الذي خرج على الاجماع القومي واعترف بالكيان الصهيوني باسم مصر، وقام بتلك المقايضة الخيانية المشئومة لاستعادة سيناء مقابل التفريط بعروبة فلسطين، والاعتراف بشرعية الاغتصاب الصهيوني لها.

وفي معاهدات كامب ديفيد كما فبي مبادرة الرئيس ريغان في اواخر 1982 بعد خروج قيادة وقوات الثورة من بيروت، اطلق الامريكيون حلولا امريكية - صهيونية، للتضليل والتمويه والخداع، كانت وظيفتها الوحيدة التغطية على المشروع الاستيطاني الصهيوني وهو يخلق الوقائع الجديدة على ارض فلسطين، وصولا الى ذلك الوقت الذي يفتح فيه العرب والعالم والفلسطينيون عيونهم، فلا يروا في فلسطين غير المستوطنات والمستوطنين، وسكانا بلا ارض في طريقهم الى الانقراض والزوال شأن الهنود الحمر في امريكا الشمالية.

ولكن صمود الشعب الفلسطيني واصراره على شعار الثورة حتى النصر هو الذي رسم خارطة

المستقبل المضي من خلال واقع مظلم. فقد حققت الثورة الفلسطينية في مسيرة الصراع والكفاح الاعتراف العالمي بالحقوق الوطنية الفلسطينية وتم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني، والاهم من هذا كله ان الثورة الفلسطينية وحدت الشعب الفلسطيني تحت راية الكفاح والنضال لتحرير فلسطين، ونفخت في الاجيال روح الثور والكفاح المسلح من اجل تحرير الوطن، ولا يمكن لاي مؤرخ متجرد، ان يعزل تاريخ الشرق الاوسط في ربع القرن الاخير، عن تاريخ صعود الظاهرة الثورية الفلسطينية بكل تجلياتها الكفاحية، وبكل تضحياتها التي اعادت الى ذاكرة العالم القضية الفلسطينية والتي كادت الدعاية الصهيونية ان تطمسها والى الابد.

ان النهوض الثوري الهائل الذي شبت نيرانه في وجه الاحتلال الصهيوني يوم التاسع من كانون الاول/ ديسمبر 1987، لا يمكن عزله عن التراكم الثوري الفلسطيني الذي زرعته الثورة في الاجيال الفلسطينية، ان ذاكرة الشعب الفلسطيني لا يمكن ان تنسى مجازر ايلول الاسود، كما لا يمكن ان تنسى مجزرة تل الزعتر، ومجازر صبرا وشاتيلا وحصار البارد والبداوي وطرابلس، وستظل محفورة الى الابد في ذاكرة الاجيال الفلسطينية، تلك البطولة الخارقة لاشبال ورجال ونساء ومقاتلي صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة وعين الحلوة، واولئك الرجال الذين صمدوا في ثلاث سنوات وحققوا النصر وفوق رؤوسهم برفرف اليوم علم فلسطين، علم الثورة.

ان الخزان الثوري الهائل الذي انفجر في وجه الاحتلال الصهيوني يوم التاسع من كانون الاول ديسمبر 1987، يستمر متحديا بشجاعة وجدارة الحقائق المصطنعة التي اقيمت من حوله لمنع انفجاره، وتشير زيارات شولتز الثلاث التي تعاقبت خلال شهرين، الى ان الامبريالية الامريكية (تجهل جهلا مطبقا، حقيقة الانتفاضة وابعادها واهدافها، وبسبب تلك القراءة السطحية) حمل شولتز معه في جولاته الثلاث، الحل الامبريالي - الصهيوني ذاته طامعا في الحصول على مساعدة عربية سخية لوقف الانتفاضة واحتوائها، وبالفعل لم تقصر الانظمة العربية المعنية بالقضية الفلسطينية في تقديم المساعدة والدعم المطلوبين، ولم تسمع الجماهير الفلسطينية، ولم يسمع شعب الانتفاضة كلمة "لا" القاطعة في وضوحها لمشاريع شولتز العقيمة، تارة بحجة ترك الرفض لشامير وقادة العدو الصهيوني، وتارة لافساح المجال للجهود السياسية دون ان يعني ذلك الموافقة عليها، وطورا تقديم اسئلة عربية تحتاج الاجوبة امريكية والحال ان هؤلاء واولئك الذين لم يمتلكوا الجرأة يوما لتحدي امريكا، كانوا يخشون الانتفاضة، فالارض المحتلة كانت تشتعل وتزداد اشتعالا كلما حطت طائرة شولتز في عاصمة عربية، فلا بد اولا حتى ترتكب خيانة عربية سافرة ضد فلسطين وشعبها، ان تخمد نار الانتفاضة، وان تضاعف الانظمة ضغطها على المنطقة، لتلبس الرداء العربي الامريكي، وتقبل بالحل الامريكي الصهيوني، الذي يعتبرونه في بعض العواصم العربية قدرا لا خلاص منه.

ماذا حملت مبادرة شولتز في حينه. لقد جاءت بالنص على الشكل التالي في خطابه الى شامير في 4/3/1988.

(اعرض لكم أدناه مذكرة تفاهم اعتقد انها ضرورية لبدء فوري لمفاوضات حول سلام شامل ومذكرة التفاهم هذه نابعة من المناقشات التي اجريتها معكم ومع قادة المنطقة الآخرين. انني اتطلع الى رسالة رد من حكومة اسرائيل تأكيدا لهذه المذكرة.

ان الهدف المتفق عليه هو سلام دائم يضمن امن جميع الدول في المنطقة والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

تبدأ مفاوضات في موعد قريب محدد بين اسرائيل وكل من جيرانها الذين يرغبون في ذلك. هذه المفاوضات يمكن أن تبدأ في اول مايو 1988 كل من هذه المفاوضات سوف يرتكز على قراري مجلس الامن

رقم 242 و 338 بكل بنودها. والاطراف المشاركون في كل من المفاوضات الثنائية هم الذين سيحددون الاجراء والجدول الزمني لمفاوضاتهم. وعلى جميع المشاركين ان يعلنوا رغبتهم في التفاوض كل مع الآخر.

وفيما يتعلق بالمفاوضات بين اسرائيل ووفد اردني - فلسطيني، تبدأ المفاوضات حول ترتيبات لتحديد فترة انتقالية على ان يكون هدفها انجاز هذه الترتيبات خلال ستة اشهر. وبعد سبعة اشهر من بدء المفاوضات الانتقالية، تبدأ مفاوضات تحديد الوضع النهائي للاراضي المحتلة بهدف استكمالها خلال عام واحد. وهذه المفاوضات سترتكز على جميع بنود ومبادئ قرار مجلس الامن الدولي رقم 242. وتبدأ محادثات تحديد الوضع النهائي قبل بدء سريان الفترة الانتقالية. وتبدأ الفترة الانتقالية بعد ثلاثة اشهر من ابرام الاتفاق الانتقالي، وتستمر مدة ثلاث سنوات. وستشترك الولايات المتحدة في مرحلتي المفاوضات، وستسعى الى ان ينتهيا سريعا الى اتفاق. وستعرض الولايات المتحدة بصفة خاصة مسودة اتفاق على الاطراف المعنيين للنظر فيها عند بدء المفاوضات الخاصة بالترتيبات الانتقالية.

ويعقد قبل اسبوعين من افتتاح المفاوضات، مؤتمر دولي. ويطلب من الامين العام للامم المتحدة توجيه دعوات الى الاطراف المعنيين بالنزاع العربي - الاسرائيلي، والدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن. وينبغي على جميع الاطراف المشاركين في المؤتمر الدولي قبول القرارين 242 و 338، الصادر عن مجلس امن الامم المتحدة، والتخلي عن العنف والارهاب. ويستطيع الاطراف المشاركون في كل مفاوضة ثنائية ابلاغ المؤتمر بحال مفاوضتهم وفقا لصيغة يتفق عليها. ولن يكون في مقدور المؤتمر فرض حلول، او الاعتراض على الاتفاقات التي يتم التوصل اليها.

يكون التمثيل الفلسطيني في اطار وفد اردني - فلسطيني. وتعالج المسألة الفلسطينية في المفاوضات بين الوفد الاردني الفلسطيني والوفد الاسرائيلية. وتجري المفاوضات بين الوفد الاردني - الفلسطيني والوفد الاسرائيلي مستقلة عن أي مفاوضات اخرى.

ان مذكرة التفاهم هذه هي كل متكامل. والولايات المتحدة تدرك ان موافقتكم ضرورية لتطبيق كل عنصر فيها بحسن نية.

المخلص

جورج ب. شولتز)1

واذا كان الاتفاق الامريكي - الصهيوني اثناء زيارة شامير قد تركز على تكثيف القمع الصهيوني للقضاء على الانتفاضة، حتى تستقبل العواصم العربية المعنية جورج شولتز في جو مريح، فان شراسة القمع الصهيوني الذي بلغ ذروته في يوم الارض وقبلها وبعدها، لم يؤد الى النتيجة المطلوبة، ولم تنفع كافة اساليب القمع الدموي او الاقتصادي او اغلاق المناطق المحتلة وعزلها عن العالم، وتحويلها الى مناطق عسكرية في الوصول الى الهدوء المطلوب، ان افلاس القمع هو في الواقع افلاس السياسة القائمة على القمع، والسياسة هنا ليست سياسة شامير، بيريز، رابين انها السياسة الامريكية التي تقع في اطارها السياسة الصهيونية الاستيطانية في فلسطين، واذا كان شولتز قد قدم الجزرة للشعب الفلسطيني بالاجتماع مع ادوارد سعيد وابراهيم ابو لغد بصفتهم مواطنين امريكيين، فانه قدم لشامير، بيريز، رابين الغطاء الامريكي الامبريالي العريض لتنفيذ اشرس حملة للقمع والقتل خلال اشهر الانتفاضة كلها، ففي اسبوع واحد سقط 24 شهيدا فلسطينيا وهو الاسبوع الذي سبق جولة شولتز التي بدأت يوم الثالث من نيسان 1988

ودون ان نغرق طويلا في تفاصيل ما حدث لمشروع شولتز، فانه صار واضحا الان ان الانتفاضة

الفلسطينية قد فرضت غياب الشريك العربي في تمثيل م. ت. ف للشعب الفلسطيني وكان شولتز يعتقد في جولتيه السابقتين، ان غياب الاردن كشريك عربي مدعوم من عواصم القرار العربي، انما هو غياب مؤقت يزول بزوال مسببه الرئيسي وهو استمرار الانتفاضة واشتعالها، وامتداد لهيبها الى مناطق في الوطن المحتل كان المحتلون الصهاينة يعتبرونها قد استكانت ورضخت للاحتلال الى الابد...

يعود شولتز الى واشنطن دون ان يزيل من ذهنه املا كاذبا بقدرة العدو الصهيوني على قمع الانتفاضة واسكات صوتها فالعدو الصهيوني يملك قوات وامكانيات ضخمة، والمصانع الامريكية المتخصصة للقمع تدور دواليبها بسرعة فائقة لتزويد قوات الاحتلال الصهيوني، باحدث وسائل القمع وانجعها، ولكن الهاجس الدولي اخذ يضيق في وجه الامبريالية الامريكية. وكم من الضحايا يجب ان يسقط يوميا، حتى يقول المجتمع الدولي كله ان استمرار الوضع الراهن في فلسطين يشكل تهديدا للامن والسلام الدوليين، ولم يكن مفيدا ان نتوقع المعجزات على يد غيرنا في تلك المرحلة، فالمعجزات الحقيقية والاكيدة هي التي تضعها الانتفاضة الباسلة والقرارات الوحيدة القابلة للتنفيذ هي قرار الثورة الانتفاضة بمواصلة الكفاح حتى يتم دحر الاحتلال الصهيوني دون قيد او شرط وتقوم الدولة الفلسطينية المستقلة تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ولا بد من أن نضيف هنا، ان الوفاق الدولي بين القوتين الاعظم كان يشق طريقه بسرعة فائقة تجاه القضايا الاقليمية الساخنة والمتفجرة ورغم الصعوبة الاكيدة في تحقيق تصور مشترك بين الاتحاد السوفياتي الولايات المتحدة الامريكية لحل في فلسطين، بسبب انحياز الولايات المتحدة المطلق للكيان الصهيوني، بل مشاركتها له في احتلال ارضنا وتشريد شعبنا، بحيث تصبح مسألة التوصل الى وفاق دولي بشأن الحل من المسائل الصعبة في حالة ركود الوضع، اما في انفجار الوضع وتسارع حركة الاحداث لتقلب كل المعطيات والمسلمات القائمة، ان الادارة الامريكية وليس الادارة الصهينونية تتولى اتخاذ القرار على المستوى الدولي، ويعكس خفوت صوت شامير النقدي لمبادرة شولتز واستشراسه بالمقابل لقمع الانتفاضة والاستهانة بقوة الشعب الفلسطيني انتقال صنع القرار في اللحظة العصيبة التي تعصف بالكيان الصهيوني من تل ابيب الى واشنطن، ويبدوا واضحا ان ما كان يرفضه شامير في السابق على اعتبار ان الضفة الغربية هي (يهودا والسامرة) وان غزة لا يمكن التخلي عنها لضروتها الامنية، قد وافق عليه شولتزمتأخرا، على امل اغراء الملك حسين بالمشاركة في الصفقة الجديدة، وبشرط وحيد هو الغاء دور منظمة التحرير الفلسطينية في حال استحالة احتوائها، ولم يكن مفاجئا مع استمرار الانتفاضة وتصاعدها ان الملك حسين الذي وقع على وثيقة لندن قبل اشهر مع بيريز لتحقيق ذات الصفقة لم يعد اليوم قادرا على السير في ذات الطريق.

وقال الملك ووزراؤه لشولتز، ان الاردن لا يستطيع التحرك بدون منظمة التحرير الفلسطينية وحتى الحوار مع شولتز لم تتم اذاعته في تلفزيون عمان، ،كما اعلن زيد الرفاعي بعد مغادرة شولتز ان الاردن لن يمثل الشعب الفلسطيني في المؤتمر الدولي وان حكومته لن تتفاوض نيابة عن منظمة التحرير الفلسأطينية.

ان الحل الامبريالي - الصهيوني الذي امده العجز العربي باسباب الاستمرار لسنوات طويلة بدأ يلفظ انفاسه الاخيرة بفعل صمود شعب الانتفاضة، وتؤرخ جولة شولتز الثالثة (30 نيسان 88 الى نهاية دور الوصاية العربي الرسمي الذي شكل على الدوام الركيزة الاقوى للحل الامبريالي الصهيوني في فلسطين لان الانتفاضة ملأت المكان الفلسطيني كله، وقيادتها منظمة التحرير الفلسطينية، تمسك الان بزمام المبادرة وتقود الهجوم لتضع حدا حاسما للعوامل والقوى السلبية في الدور العربي تجاه فلسطين، وعندما يتحقق هذا التراجع العربي عن الدور المرسوم في الخطة الامريكية، تفقد هذه الخطة دعامتها وركيزتها العربية، ويصبح البحث عن حل آخر على أنقاض الحل الامريكي الصهيوني، امرا مشروعا.

واذا كانت مسألة الاحتلال الصهيوني وحقوق الشعب الفلسطيني قد اخذت طريقها بقوة منذ بدء

الانتفاضة على جدول اعمال القوى الدولية، وخاصة القوتين الاعظم ودول السوق المشتركة وتراوحت المواقف بين الانتظار لبعض الوقت لاجراء تداول معمق (شولتز - شيفارندزة) او التفويض والمباركة (السوق الاوروبية المشتركة) فان فشل شولتز المدوي في تجاوز الرقم الفلسطيني بعد ثلاث جولات، يفرض مراجعة جدول الاعمال مجددا، واعطاء هذا الوضع المتفجر المزيد من الاهتمام الجدي والبحث عن حلول بديلة للحل الامريكي الصهيوني.

وقد جاءت دعوة الاخ ابو عمار لزيارة موسكو على رأس وفد فلسطيني كبير واجتماعه مع غورباتشيف لمدة ساعتين في هذا السياق الجديد للمواقف الدولية، حيث يظهر الان واضحا ان السياسة الامريكية في الشرق الاوسط لم تعد قادرة على تأمين الاستقرار المطلوب للحفاظ على العلاقات الدولية في صورتها الراهنة، ان هذه الزيارة الهامة انما تندرج في اطار البحث عن حل دولي للوضع المتفجر على انقاط الحل الامريكي الذي يلفظ انفاسه، وظهور فشل جهود الادارة الامريكية لتجديده ومده باسباب الحياة.

وعلى الصعيد العربي، فان القمة العربية التي دعت الجزائر لانعقادها لدعم الانتفاضة، وان كانت عواصم النفوذ والقرار قد نجحت في تأخير انعقادها طوال اربعة اشهر بفعل استجابتها للضغط والابتزاز الامريكي، لاعطاء مزيد من الوقت للادارة الامريكية، الا ان ضغط الانتفاضة وتواصلها بالمقابل طوال اربعة اشهر، وتعاظم فشل القمع الصهيوني وثبوت استحالة احتواء الانتفاضة، قد سحب البساط عربيا من تحت ارجل الانظمة التي لا ترى بديلا عن الحل الامريكي الصهيوني ومشتقاته. فالانتفاضة التي رفعت المواجهة الفلسطينية الصهيونية الى شكلها الارقى، حجمت بالمقابل الادوار العربية السلبية الملتقية مع المخططات الامريكية، وعززت دور الجماهير العربية التي وان كانت حتى الان مقيدة باغلال الانظمة، الا ان رقابتها على سياسات وتحركات الانظمة المؤيدة لامريكا اخذة في الا زدياد، ونلمس الضغط الجماهيري بغياب الوضوح في مواقف الانظمة وسياساتها والتعبير بلغة اللاموقف لاخفاء الموقف عن الجماهير، او الاعتذار المؤدب عن اداء الدور المقرر امام طوفان الانتفاضة.

كانت الكفة الراجحة في القرار العربي ما زالت لمصلحة امريكا وتسوياتها، وكمان علينا ان نلاحظ ان اجتماع وزراء الخارجية العرب (تونس 11 نيسان) وجد ان عليه ان يجيب عن سؤال الغياب العربي، باعلان موعد للقمة العربية بعد شهرين (حزيران 88 وبعد فشل جولة شولتز. ان الواقع العربي الممزق والمنقسم على نفسه والغارق في صراعات ثانوية، لا يستطيع ان يعطي السياسة الامريكية اكثر من اشهر لتمرير سياساتها ضد الشعب الفلسطيني، لخشية الانظمة القائمة ان تجد نفسها في وضع صعب مع جماهيرها.

ان الثغرة الكبرى التي كانت قائمة هي الثغرة العربية في مواجهة الحل الامريكي ولا بد من ردم هذه الثغرة، على قاعدة الموقف القاطع الذي اعلنته الانتفاضة برفض الحلول الامريكية جملة وتفصيلا، ورفض الاجتماع بشولتز واتخاذ الاجراءات العملية من قبل الجماهير العربية لضرب السيطرة الامريكية على القرار العربي.

ان الاساس السليم لسد هذه الثغرة العربية وكما اسلفنا، انما يقوم بتعبئة الجماهير العربية حول الموقف الرسمي المعلن لمنظمة التحرير الفلسطينية وللانتفاضة الوطنية الكبرى في وطننا المحتل، على اساس فضح شولتز وخططه ومشاريعه وفضح التعاطي العربي الرسمي مع شولتز. ان انتقال منظمة التحرير الفلسطينية من التلميح الى التصريح، ومن الدفاع الى الهجوم على المستوى السياسي العربي اصبح امر لا مناص منه للاسراع بتقييد حركة الانظمة العاملة في اطار مشروع التصفية الامريكية.

لقد اصبح واضحا ان الانتقال الفلسطيني الى الهجوم السياسي المدروس على الصعيد الخارجي

انما يسهم في فرز القوى على الساحة العربية على اساس عزل السياسة الامريكية واجبار مؤيديها على الانكفاء والتراجع عن مواقفهم وسياساتهم، وافساح المجال بالتالي لرسم سياسة عربية جديدة تعتمد قولا وفعلا دعم الانتفاضة واسنادها واغلاق الساحة العربية في وجه الحلول الامريكية القائمة اولا واخيرا على اجهاض الانتفاضة وحماية الاحتلال الصهيوني ومنع قيام الدولة الفلسطينية المستقلة، ومنع المنظمة من تمثيل الشعب الفلسطيني.

ان نجاح الانتفاضة الوطنية الكبرى في احتواء القمع الصهيوني بدلا من ان يحتويها القمع الصهيوني ويخمدها كما املت الادارة الامريكية وعواصم القرار العربي، ان هذا النجاح الفلسطيني الذي حطم الحسابات الامريكية والصهيونية والعربية الرسمية، قد ادى الى فشل الرهان الامريكي علىدور منفرد للاردن على حساب الشعب الفلسطيني، كما افشل هذا النجاح الفلسطيني الرهان الامريكي على القمع الصهيوني لاخماد الانتفاضة.

ان النتيجة المنطقية بعد هذا الفشل المدوي الذي حمله شولتز معه الى واشنطن، هي قلب صفحة الحل الامريكي المنفرد، وبدء البحث عن حل بديل آخر، والا فاق مفتوحة الان للقوى الدولية الا خرى (الاتحاد السوفياتي واوروبا الغربية) لتقدم تصورا بديلا للمؤتمر الدولي، فبدل مؤتمر يكون غطاء على الحل الامريكي، يصبح من المنطقي ان تقدم الادارة الامريكية تنازلات جديدة، ويكون لهذا القرار بعض الصلاحيات، وبعض الرقابة على عملية المفاوضات في اطار المؤتمر الدولي وقد تناولت المباحثات التي اجراها الاخ ابو عمار مع الرفيق غورباتشيف في9 نيسان 1988 وضع تصور مشترك سوفياتي - فلسطيني للمؤتمر الدولي يقوم على اساس تحقيق الحقوق الوطنية الفلسطينية وليس مجرد تسجيلها كما قال غورباتشيف، ان حق تقرير المصير من بين اهداف فلسطينية اخرى يتقدم الان جدول اعمال اللقاء لشولتز وشيفارندزة، واذا كانت مسألة مشاركة المنظمة في المؤتمر الدولي بوفد مستقل تجد رفضا صهيونيا وامريكيا قاطعا فان المواقف العربية التي ترفض استقلالية المنطقة قد فقدت قوتها الان، وهي الان بمثابة الحلقة الضعيفة في السلسلة الامريكية ولا بد من الضرب الفلسطيني عليها بقوة، لافقاد الرفض الصهيوني الامريكي لدور المنطقة واستقلاليتها، غطاءه العربي، بل ركيزته وقوته العربية، واذا كنا وفي ظل استمرار الانتفاضة واستحالة السيطرة عليها صهيونيا، لسنا في عجلة من امرنا، فان من المهم التذكير ان عقد القمة العربية قبل قمة ريغان - غورباتشيف والخروج من هذه القمة بانتصار فلسطيني جديد يؤكد على وحدانية التمثيل الفلسطيني وعلى الا ستقلالية في المؤتمر الدولي، انما يشكل قفزة نوعية لموقف الثورة الفلسطينية في مواجهة الثقل الامريكي الصهيوني وانعكاساته في علاقاته مع القوى الدولية المختلفة.

وقد ظهر واضحا ان محصلة القرار العربي كانت في تأجيل انعقاد القمة الى حزيران القادم، أي الى ما بعد القمة السوفياتية - الامريكية لابقاء الورقة العربية في يد شولتز، الامر الذي دفعنا للعمل في الساحة العربية بكل قوة، لافراغ هذه الورقة من مضمونها المعادي للشعب الفلسطيني. وان نحسن التمييز بين الدعوات المختلفة للمؤتمر الدولي وللمشاركة الفلسطينية فالثورة الفلسطينية التي تقود هذه الانتفاضة المنتصرة تمسك بزمام المبادرة على ارض الصراع بالذات، لاحداث التغيرات المطلوبة الى الحد الاقصى، وفي تحليلنا لما وصلت اليه المواجهة الفلسطينية - الصهيونية نخرج بالاستنتاج الذي يقول بان التنازلات الشكلية التي تقدمها الادارة الامريكية هي بالضبط تنازلات صهيونية، لا يستطيع قادة العدو بسبب طبيعة مجتمعهم الاستيطاني ان يعلنوها علنا، لان اثارها ستكون مدمرة على المجتمع الاستيطاني الصهيوني برمته، ان ضربات الانتفاضة تأتي كلها في واشنطن وعلى هذا الا ساس تكمن المصلحة الوطنية الفلسطينية العليا للشعب الفلسطيني في استمرار تصعيد الانتفاضة وفي استمرار إدامتها وفي استمرار دعمها الشامل وفي استمرار تصليب الموقف السياسي الفلسطيني الذي تعبر عنه مواقف القيادة الفلسطينية، لنسف الجسور نهائيا مع مشاركة عربية في التمثيل الفلسطيني، فالانتفاضة تخطت

مرحلة التصفية، واسقطت البدائل الامريكية المطروحة بين الاحتلال والاستقلال، وبرنامج الانتفاضة الان هو بناء على قاعدة الاستقلال الوطني الفلسطيني وارغام العدو الصهيوني على الانسحاب دون قيد او شرط، وان اسقاط هيكلية الاحتلال داخل ارضنا المحتلة واسقاط الطبقة العازلة بين الاحتلال والجماهير والمستمرة بنجاح منذ شهرين، والطرح الجديد الذي يأخذ طريقه الان لاسقاط هيكلية الوصاية الاردنية، شرطان اساسيان ومسبقان لاخراج الاردن من دوره الامريكي، واجبار الولايات المتحدة على الاعتراف علنا بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيد للشعب الفلسطيني.

ان المهمة الراهنة تكمن في تعميق الانتفاضة داخل الوطن المحتل، واسقاط هياكل الاحتلال والموصاية ليسقط بالتالي الشعار الامريكي - الصهيوني القائل بوفد (اردني - فلسطيني) مشترك لا تشارك فيه منظمة التحرير الفلسطينية او حتى بوفد مشترك ينتقص من الاستقلالية الفلسطينية ووحدانية التمثيل.

لقد ادرك الشعب الفلسطيني في هذه الرحلة ان الطريق مفتوح ومعبد لفرض الانسحاب الصهيوني الكامل دون قيد او شرط من الارض الفلسطينية المحتلة، وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وذلك بالنضال الدؤوب وبالنفس الطويل، فالتحولات في المواقف قد بدأت تحت ضربات الانتفاضة ومن الضروري ادامة الضربات وتعميقها وتصعيدها، واغلاق المنافذ العربية امام محاولات امريكا للخروج من مأزقها وعزلتها، ان الطريق واضح الان امام الحل الفلسطيني وما علينا الا السير فيه حتى نهايته لتحقيق النصر الكامل للثورة الفلسطينية واحداث التحولات التاريخية التي تفرض نفسها الان على جدول اعمال الثورة، ان الصمود وحده يحدث التغيرات المطلوبة في الوضع العربي، وان تصعيد الانتفاضة وحدها يجعل عملية التأثير والتأثير المتبادلين بين العامل الفلسطيني والعامل العربي تسير لمصلحة الثورة الفلسطينية، وان عظمة وضخامة الاهداف الوطنية والقومية التي يكافح الشعب الفلسطيني لتحقيقها تقتضي الصبر وطول النفس، ان ساعة الانتصار تقترب وما علينا الا مواصلة المعركة وليظل شعارنا انسحاب بلا قيد او شرط ودولة فلسطينية مستقلة.

## هوامش

1. جورج شولتز ,نيويورك تايمز 10\3\1988